١٩٤٨ ، لا يمكن الا ان تؤثر على تحديد مفهومنا للمقاومة لديه . واذا اضفنا ما ابتلي به العربي في فلسطين بشكل خاص من اطماع الحركة الصهيونية ومخططاتها وما ترتب عليها قبل النكبة وبعدها ، على مدى ستين سنة ونيف ، فاننا نجد انفسنا امام قضية فريدة ذات وضع متميز لا بد من فهمها واستيعاب ظروفها وتطوراتها ، ليكون تحديدنا لمفهوم المقاومة دقيقا وشاملا ، وتقديرنا لدور الشعر فيها واضحا ومنصفا . فقضية فلسطين اكبر من مجرد احتلال او غزو أجنبي استعماري . انها قضية استعمار استيطاني قام على طرد سكان البلاد الاصليين بالقوة واحلال مجموعات اخرى من الناس محلهم ، جيء بهم من اوطان عديدة ، ليضعوا ايديهم عنوة وقهرا بمساعدة قوى العالم الامبريالية والصهيونية وبتخطيطهما . وهي بذلك تمثل ذروة المد الاستعماري وطوفان مطامعه واخطاره . ثم ان القضية تطورت على مدى عشرات السنين تخطيطا وتنفيذا لمخططات سخرت لها قوى فردية وعالمية على اوسع نطاق واعلى مستوى ، وهي ما تزال وستبقى فترة لا يعلمها الا الله حتى يصل نهر المأساة فيها الى محيط من العدل تغرق فيه آثام الانسانية الطاغية المتجبرة . فبدءا من مؤتمرات الصهيونية التحضيرية ومرورا بتصريح بلفور ، ثم بالانتداب البريطاني على فلسطين ، وما هيأه هذا الانتداب من ظروف وضع فيها البلاد واحاط بها السكان تمهيدا لانشاء الدولة الصهيونية ، ثم بما قدمته الحركة الصهيونية وقوى العالم الاخرى التي ساعدت على وقوع الكارثة ، وانتهاء باعلان قيام الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨ ، وما تعلق بذلك من سياسات الدول ومواقفها ، وما ترتب عليه من تشريد مئات الآلاف من عرب البلاد الى المنافي العديدة في اصقاع الارض وبخاصة في البلدان العربية ليعيشوا مع اشقائهم ظروفا ذات طبيعة خاصة منحرفة ترهق الفكر ، وترضرض النفس ، يتشوقون واياهم الى يوم التحرير ، وكذلك ما ترتب عليه من بقاء عشرات الوف اخرى من العرب في ارضهم ليعيشوا اقلية مضطهدة تحت حكم عدو شرس اخذ على عاتقه التخطيط لمحق شخصيتهم ومحو انتمائهم القومي بكل اساليب البطش والطغيان .

اذا تبصرنا هذه الظروف ، ولا بد ان نفعل ، حتى نكون اقرب الى الصدق ، فاننا بتقدير ما ، نخرج بمفهوم للمقاومة العربية الفلسطينية يتطور ومقتضيات القضية في تطوراتها ومراحلها المتتابعة والمتنوعة . والمقاومة هنا ، وفي كل حالاتها ، تقوم على محور رفض سلبيات الامر الواقع ، والايمان التام بلا معقولية استمرار هذا الواقع وبوجوب تغييره . وتعددت مظاهرها وتشكلت في صور شتى ابتداء من المقاطعة والاضراب الى الثورة وحمل السلاح . وقام الشعر في كل الحالات بدور ايجابي فعال طويل المدى ، لم يقتصر على اعلان رفضه الامر الواقع فقط ، فشارك في تنبيه الرأي العام ، وفي البناء النفسي للفرد العربي الفلسطيني ، فغرس في نفسه قوة الاصرار وارادة التحدي ، واشعل جذوة الحماسة لتحقيق الآمال ، وخلق روح المقاومة الفكرية والغضب على الاستعمار والصهيونية وعملائهما من الرجعية وما تمثله من تخلف ، واتخذ دعوة الوحدة والقومية سبيلا الى تحرير الارض والانسان من كل الاعداء . وهكذا فان الشعراء العرب الفلسطينيين قد فهموا المقاومة ضد كل سلبيات الحياة والانظمة والمعوقات التي تمنع الشعب او تحد من ارادته في تحقيق آماله ، فلم يقتصر شعرهم على مقاومة الوجود الاستعماري والاحتلال الصهيوني وحسب ، بل تناول ايضا مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية ، فتعمق الحياة العربية وندد بكل مظاهر السلبية مقدرا ، منذ وقت مبكر ، ان المعركة مع الاعداء وحتى مع النفس العربية ، معركة حضارية اولا واخيرا ، وانها اعمق من مجرد